

نظرية الربط في تفسير الأساس وأثرها في تحقيق الانسجام النصي

The Theory of Cohesion in Tafsīr al-Asās and Its Role in Achieving Textual Coherence

Istekhar Ahmad

PhD Scholar, Department of Arabic, University of the Punjab,
hafiaistekharahmadawan@gmail.com

Dr. Abdul Majid Nadeem

Professor, Department of Arabic, University of the Punjab, majid.arabic@pu.edu.pk

Abstract:

This study examines the theory of cohesion as manifested in *Al-Asās fī al-Tafsīr* by Saʿīd Ḥawwā and its role in achieving textual coherence in the Qurʾanic discourse. The study focuses on the relationships that connect the different parts of the Qurʾanic text, including verses, narratives, passages, thematic groups, and surahs. Saʿīd Ḥawwā paid particular attention to the contextual and thematic relationships among these components, regarding them as interconnected units that contribute to the unity of meaning and the coherence of the Qurʾanic text. The study adopts a descriptive-analytical approach by examining selected examples from *Al-Asās fī al-Tafsīr* and analyzing the forms of cohesion employed by Ḥawwā in explaining the relationships among the various parts of the Qurʾanic discourse. The study demonstrates that cohesion in Ḥawwā's interpretation is not restricted to the connection between individual verses, but extends to narratives, passages, thematic groups, and the relationships between surahs and their central themes. The findings indicate that this approach contributes significantly to revealing the thematic unity of the Qurʾanic text, the continuity of meaning, and the coherence of its internal and external structure. It also demonstrates the importance of contextual and thematic analysis in understanding the interconnectedness of the Qurʾanic discourse.

Keywords: *Cohesion, Textual Coherence, Al-Asās fī al-Tafsīr, Saʿīd Ḥawwā, Thematic Unity, Qurʾanic Context*

ملخص

يتناول هذا البحث نظرية الربط في تفسير الأساس في التفسير لسعيد حوى، وبيان أثرها في تحقيق الانسجام النصي في الخطاب القرآني. ويركز البحث على العلاقات التي تربط بين أجزاء النص القرآني المختلفة، من الآيات والقصص والمقاطع والمجموعات والسور. وقد غني سعيد حوى بإبراز العلاقات السياقية والموضوعية بين هذه العناصر، والنظر إليها بوصفها وحدات مترابطة تسهم في تحقيق وحدة المعنى وانسجام النص القرآني. واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال دراسة نماذج مختارة من تفسير الأساس وتحليل صور الربط التي اعتمدها حوى في بيان العلاقات بين أجزاء النص القرآني. وقد أظهرت الدراسة أن الربط في تفسير الأساس لا يقتصر على اتصال الآيات بعضها ببعض، بل يمتد إلى الربط بين القصص والمقاطع والمجموعات، وإلى بيان الصلات بين السور ومحاورها. كما تبين أن هذه الروابط تؤدي دوراً مهماً في الكشف عن الوحدة الموضوعية للنص القرآني، واستمرار المعنى، وتكامل بنائه الداخلي والخارجي. وتؤكد الدراسة أهمية اعتماد السياق والمحاور الموضوعية في الكشف عن ترابط الخطاب القرآني وانسجامه.

الكلمات المفتاحية: الربط، الانسجام النصي، الأساس في التفسير، سعيد حوى، الوحدة الموضوعية، السياق القرآني.

المقدمة

يتميز النص القرآني بترابط محكم بين أجزائه، فلا تأتي الآيات والسور والقصص والمقاطع منفصلة بعضها عن بعض، وإنما تنتظم في بناء متكامل تتأزر فيه المعاني والمقاصد. ومن هنا ظهر الاهتمام بدراسة العلاقات التي تصل بين أجزاء النص، والكشف عن مظاهر الانسجام التي تجعل النص وحدة متماسكة من حيث المعنى والبناء. ويعد الربط من أبرز الوسائل التي تكشف عن هذه العلاقات، إذ يسهم في بيان الصلة بين السابق واللاحق، والكشف عن وحدة الموضوع واستمرار السياق.

وقد اهتم المفسرون بإبراز وجوه المناسبة والاتصال بين الآيات والسور، إلا أن سعيد حوى في الأساس في التفسير أظهر عناية واضحة بالبناء الموضوعي للسور، فقسم بعض السور إلى مجموعات ومقاطع، ثم تتبع العلاقات التي تربط هذه الأجزاء بعضها ببعض، كما اهتم ببيان صلة السورة بمحورها وصلتها بما قبلها وما بعدها. ويكشف هذا المنهج عن نظريته إلى القرآن الكريم بوصفه نصاً متكاملًا تتفاعل أجزاؤه لتحقيق مقاصده العامة.

ومن هذا المنطلق يسعى هذا البحث إلى دراسة نظرية الربط في تفسير الأساس وأثرها في تحقيق الانسجام النصي، من خلال الوقوف على نماذج تطبيقية توضح الربط بين الآيات، والقصص، والمقاطع، والمجموعات، والسور.

كما يحاول البحث بيان أثر هذه الروابط في الكشف عن الوحدة الموضوعية واستمرار المعنى وتكامل البناء النصي في القرآن الكريم.

واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال تتبع نماذج الربط التي عرضها سعيد حوى في تفسيره، ثم تحليلها وبيان نوع العلاقة التي تجمع بين الأجزاء المتصلة، ومدى إسهامها في تحقيق الانسجام النصي.

المبحث الأول: الربط وعلاقته بالانسجام النصي

يقوم الربط على إقامة الصلات بين أجزاء النص المختلفة، بحيث لا ينظر إلى كل جزء بمعزل عن غيره، وإنما يفهم في ضوء علاقته بالسياق الذي يحيط به. ومن ثم فإن الربط يسهم في انتقال المعنى واستمراره من جزء إلى آخر، ويكشف عن العلاقات الموضوعية والدلالية التي تنتظم النص.

أما الانسجام النصي فيتعلق بوحدة المعنى وترابط الأفكار والمقاصد داخل النص، بحيث تتآزر أجزاؤه في بناء دلالة كلية متماسكة. ولذلك يمثل الربط وسيلة مهمة للكشف عن الانسجام، لأنه يوضح كيفية اتصال الآيات والمقاطع والمجموعات والسور ضمن سياق واحد.

ويتضح هذا الأمر بصورة خاصة في تفسير الأساس، إذ لا يكتفي سعيد حوى بتفسير الآية منفردة، بل ينظر إليها في سياقها، ويربطها بما قبلها وما بعدها، كما يتتبع العلاقات بين القصص والمقاطع والمجموعات، ويبين صلة السور بمحاورها وبالسور الأخرى. وبذلك يتحول التفسير من مجرد بيان للمعاني الجزئية إلى الكشف عن البناء الكلي للنص القرآني.

المبحث الثاني: مظاهر الربط في تفسير الأساس

1: الربط بين الآيات

يظهر الربط بين الآيات في تفسير الأساس من خلال الكشف عن العلاقات الدلالية التي تجعل الآية اللاحقة امتداداً للآية السابقة أو مفسرة لها.

النموذج الأول: من سورة آل عمران

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٦ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرَزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٢٧ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾¹ في الآيات السابقة على هذه الآيات، وضعنا الله - عز وجل على طريق الاتباع الكامل، والتسليم الكامل لآيات الله، والمفاصلة الكاملة لأعداء الله، والإخبات لله، وهذا كله يقتضي معرفة كاملة بالله، بأنه مالك الملك، المعطي المانع، المعز المذل، حتى لا يحرفنا ملك، أو رزق، أو عز، أو ذل لنا أو لغيرنا عن الاستقامة على أمر الله، وقد نهينا عن موالاة الكافرين بعد ذلك في هذا السياق، طلبا لجاه، أو ملك، أو عز، أو خوفا من ذل أو فقر. لأن الله عز وجل هو الذي يعطي هذا كله. فعلينا أن نستقيم على أمره ونترك له - «² ويتضح الربط هنا من خلال العلاقة الوثيقة بين الآيات؛ فالامتنال لأوامر الله لا ينفصل عن اليقين بأن أسباب القوة والعزة والرزق كلها بيد الله تعالى. كما يرتبط النهي عن موالاة الكافرين بما سبقه، لأن طلب العزة أو الجاه أو المال قد يكون سبباً في الميل إليهم، فجاء بيان سلطان الله وقدرته ليزيل هذه الدوافع. ومن ثم تقوم العلاقة بين الآيات على التعليل والتكميل، حيث توضح الآيات اللاحقة الأساس الذي يقوم عليه الحكم السابق، مما يحقق استمرار المعنى وانسجام السياق.

النموذج الثاني: من سورة الحجر

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ٨٥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ٨٦ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾³ «والمهم أن وصل هذا النص بآيات خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق والساعة الآتية لا ريب فيها، يشي بالاتصال بين هذا القرآن،

¹ آل عمران: 26-28 .

² حوى سعيد بن ديب ت (1989م)، الأساس في التفسير دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1405هـ - 1985م ج 2 / 731 .

³ الحجر: 85-87 .

والحق الأصيل الذي يقوم به الوجود وتقوم عليه الساعة. فهذا القرآن من عناصر ذلك الحق، وهو يكشف سنن الخالق، ويوجه القلوب لإدراكها، ويكشف أسباب الهدى والضلال، ومصير الحق والباطل.⁴

ويظهر الربط في انتقال السياق من الحق المشهود في الكون إلى الحق المنزل في الوحي؛ فالآية الأولى تقرر أن الكون قائم على الحق والحكمة، ثم جاءت الآية التالية لتبين أن القرآن العظيم مصدر للهداية وكاشف لسنن الله في الحياة. وبهذا يتحقق التكامل بين الآيات، ويتضح أن القرآن مرتبط بالحق الكوني الذي يقوم عليه نظام الوجود.

2- الربط بين القصص

لا يقتصر الربط في تفسير الأساس على الآيات، بل يظهر كذلك في القصص القرآني، حيث تتصل قصة بأخرى من خلال وحدة الغاية أو التشابه في الموضوع.

النموذج: الربط بين قصتي زكريا ومريم عليهما السلام

لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام، وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولدا زكيا مباركا، عطف بذكر قصة مريم في إيجادها ولدها عيسى عليه السلام منها، من غير أب فإن بين القصتين مناسبة ومشابهة.⁵

ويقوم الربط بين القصتين على التشابه والتكامل؛ فكلتاها تدلان على أن قدرة الله تعالى لا تتقيد بالأسباب المألوفة ولا تحدها السنن المعتادة. كما أن القصة الثانية تعمق المعنى الذي قرره الأولى، فننتقل الدلالة من وجود الولد مع وجود الموانع إلى وجوده من غير أب أصلاً. ومن ثم تسهم القصتان في تحقيق وحدة موضوعية تتمثل في بيان قدرة الله تعالى وكمال سلطانه. وقد أشار سعيد حوى إلى هذه المناسبة بين القصتين في تفسيره.

3- الربط بين المقاطع

يظهر الربط بين المقاطع في تفسير الأساس من خلال العلاقات التي تجعل كل مقطع جزءاً من بناء موضوعي أوسع.

⁴ الأساس في التفسير، ج 6 / 2900 .

⁵ الأساس في التفسير، ج 6 / 3266.

النموذج الأول: سورة النساء

تتصل المقاطع في سورة النساء بآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾⁶. وقد جعل سعيد حوى هذه الآية جسراً بين المقاطع، إذ ترتبط المقاطع السابقة بقضايا الحكم، بينما تتصل المقاطع اللاحقة بالأمانة والعدل.⁷

ويتضح من ذلك أن الآية تؤدي وظيفة محورية في بناء السورة؛ فهي تجمع بين قضايا الحكم والأمانة والعدل، ثم تتفرع عنها موضوعات تتعلق بالطاعة والتحاكم إلى شرع الله والقيام بالقسط. ولذلك فإن العلاقة بين المقاطع تقوم على التكامل الموضوعي، حيث تتضافر في خدمة قضية واحدة هي إقامة العدل وأداء الأمانة.

النموذج الثاني: سورة الإسراء

يظهر الترابط بين مقاطع سورة الإسراء من خلال التشابه اللفظي والمعنوي. فقد ختم أحد المقاطع باستفهام إنكاري، وجاء مقطع آخر باستفهامات إنكارية مماثلة، كما تكرر الأمر بـ «انظر» في مواضع متعددة، مثل ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ (الإسراء: 21)، وورد في هذا المقطع أيضاً ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ (الإسراء: 48)، وتكررت صيغة افتتاح المقاطع مثل: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ (الإسراء: 2)، و﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ (الإسراء: 41)، و﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: 70).⁸

ويكشف هذا التكرار عن تماسك بنائي ودلالي بين المقاطع؛ فالتشابه في الأساليب والافتتاحات والاستفهامات لا يأتي منفصلاً عن المعنى، وإنما يخدم غرضاً مشتركاً يتمثل في إقامة الحجة على المكذبين، وتذكيرهم بنعم الله، ودعوتهم إلى الهداية والتحذير من الشرك.

⁶ النساء: 58

⁷ الأساس في التفسير، ج 2/1198.

⁸ الأساس في التفسير، ج 6/3078.

4-الربط بين المجموعات

تظهر المجموعات في تفسير الأساس بوصفها وحدات موضوعية مترابطة، بحيث تكمل المجموعة اللاحقة ما قرره السابقة أو تجيب عن قضية أثارها.

النموذج الأول: سورة الحجر

«جاءت هذه المجموعة تتحدث عن أدلة وجود الله عز وجل، وعن آيات الله الحق في هذا الكون بما تقوم به الحجة على الكافرين، فبعد أن ذكر الله عز وجل في المجموعة الأولى موقف الكافرين من الرسالة والرسول والوحي، جاءت هذه المجموعة لتتسّف مواقف الكافرين من أساسها، ومن هذا الجانب ندرك الصلة بين المجموعة وما سبقها.»⁹

فالعلاقة بين المجموعتين تقوم على الاعتراض والجواب؛ إذ عرضت الأولى موقف المكذبين، بينما جاءت الثانية لإقامة الحجة عليهم من خلال الأدلة الكونية والعقلية. وبذلك انتقل السياق من عرض موقف الكافرين إلى نقض ذلك الموقف وإثبات بطلانه، مما أسهم في تقرير التوحيد وإثبات صدق الرسالة.

النموذج الثاني: سورة النحل

تحدثت المجموعة السابقة عن شبهات الكافرين حول القرآن، ثم جاءت المجموعة التالية للحديث عن الذين لا يؤمنون بالقرآن وموقفهم منه.¹⁰

ويظهر الربط هنا من خلال التكامل والتقابل؛ فالمجموعة الأولى تناولت القرآن من جهة ما أثاره الكافرون حوله من شبهات، بينما تناولت الثانية موقف الذين لم يؤمنوا به. وهكذا استمر الموضوع نفسه وانتقل السياق من عرض الشبهة إلى الحديث عن أصحابها وموقفهم من الوحي.

⁹ المصدر نفسه، ج 6 / 2871 .

¹⁰ الأساس في التفسير، ج 6 / 3000 .

5- ربط السور بمحاورها

من أبرز خصائص منهج سعيد حوى عنايته بمحور السورة وربط تفاصيلها بهذا المحور، بحيث تصبح موضوعات السورة المختلفة تطبيقات أو تفصيلات للمقصد المركزي.

النموذج الأول: سورة النحل ومحورها

ربط سعيد حوى محور سورة النحل بقوله تعالى من سورة البقرة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾¹¹. «وقد رأينا أن المجموعة التي بين أيدينا حدثتنا عن مآل الذين يرفضون الدخول في السلم في الدنيا، وعن مآل الذين يدخلون فيه بقبولهم كتابه. ورأينا أن الذين يرفضون كتاب الله هم المستكبرون الذين يتبعون خطوات الشيطان، ثم تأتي هاتان الآيتان وفي الآية الأولى منهما شبه بآية البقرة لدرجة اتحاد بعض الألفاظ لتختتم بهما هذه المجموعة، فهذا دليل كذلك على أن اتجاهنا في فهمنا للوحدة القرآنية، والسياق العام صحيح والحمد لله.»¹²

وتظهر العلاقة في أن السورة تفصل بعض المعاني المحملة في الآية المحورية، فتبين نتائج الاستجابة لأمر الله ونتائج الإعراض عنه واتباع خطوات الشيطان. ومن ثم يعود ختام المجموعة إلى أصل المحور، مما يحقق الربط بين التفصيل والمحور العام.

النموذج الثاني: سورة مريم ومحورها

«رأينا أن سورة مريم محورها آية البقرة كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ... فلنر كيف فصلت السورة هذا المحور، وكيف خدمت حيّزه، وهو موضوع الدخول في الإسلام كله: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ أي أصبح الناس كفارا فبعث الله مبشرين ومنذرين. وقد أصبح الناس كفارا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا بالقرآن المبشر المنذر، فسورة مريم فصلت لنا قصص نبيين بشروا وأنذروا، ولقد بشرت وأنذرت من كفر باليوم الآخر، ومن أشرك، ومن جعل لله ولدا، ومن أضاع الصلوات واتبع

¹¹ البقرة: 208.

¹² الأساس في التفسير، ج 6 / 2931.

الشهوات، وبشرت المتقين بكرامتهم يوم يحشرون، وبخروجهم من النار يوم يعبرون بالمودة لهم في قلوب المؤمنين، أُنذرت بالنار، وبالإهانة والذلة يوم القيامة وأُنذرت بعذاب الله في الدنيا.¹³

وقد جاءت سورة مريم لتعرض نماذج من الأنبياء الذين قاموا بوظيفة التبشير والإنذار، كما عرضت صوراً من الكفر والشرك، وبشرت المؤمنين وأُنذرت المكذبين. ولذلك يمكن النظر إلى السورة باعتبارها تفصيلاً تطبيقياً لمعاني بعثة الأنبياء التي وردت مجملة في آية البقرة، مما يكشف عن الصلة بين المحور والتفصيل ويحقق انسجاماً موضوعياً بين السورة ومحورها.

6-الربط بين السور

يمتد الربط في تفسير الأساس إلى العلاقة بين السور المتجاورة، حيث قد تستكمل السورة اللاحقة موضوعاً أو معنى ورد في السابقة.

النموذج الأول: بين سورتي آل عمران والنساء

«ووجه مناسبتها لآل عمران أمور، منها أن آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى، وافتتحت هذه السورة به، ومنها أن في آل عمران ذكر قصة أحد مستوفاة، وفي هذه السورة ذكر ذيلها، ومنها أن في آل عمران ذكر الغزوة التي بعد أحد كما أشرنا إليه في قوله تعالى: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ الْخ. وأشير إليها هاهنا بقوله سبحانه: وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ الْآية»¹⁴

تتجلى المناسبة بين سورتي آل عمران والنساء في أن سورة آل عمران ختمت بالأمر بتقوى في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (آل عمران:200)، وجاء سورة النساء مفتتحة بالأمر نفسه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء:1)، مما يحقق اتصالاً واضحاً بين ختام السورة الأولى وبداية الثانية ، كما أن سورة آل عمران عرضت أحداث غزوة أحد ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلَهُ﴾ (آل عمران:140)، وجاء سورة النساء لتكمل بعض ما يتعلق بآثار تلك الأحداث كما في قوله

¹³ المصدر نفسه، ج 6 / 3306 .

¹⁴ الأساس في التفسير، ج 2 / 978 .

تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ (النساء: 104)، . وعليه تقوم العلاقة بين السورتين على التكامل والامتداد الموضوعي ؛ إذ تستكمل سورة النساء ما بدأت به سورة آل عمران في معالجة قضايا الأمة مع بقاء محور التقوى وتنظيم المجتمع الإسلام جامعا بينهما.

النموذج الثاني: بين سورتي العصر والهمزة

«رأينا أن سورة العصر ذكرت أن جنس الإنسان في خسر إلا من اتصف بصفات معينة، وتأتي سورة الهمزة لتحديد صفات الخاسرين ومظهر خسارهم، فللسورة صلتها بما قبلها، وهكذا نجد أن للسورة سياقها الخاص وصلتها بما قبلها.»¹⁵

تتجلى المناسبة بين سورتي العصر والهمزة في أنّ سورة العصر قرّرت قاعدة عامة ، وهي إنّ الإنسان في خسران الا من تحققت فيه صفات النجاة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خَسْرٍ . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (العصر: 1-2)، ثم جاءت السورة الهمزة لتعرض النموذجاً عملياً للخاسرين الذين لم يتصفوا بتلك الصفات فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ . الذي جمع مالا وعدده﴾ (الهمزة: 1-2)، فبيّنت صفاتهم عاقبتهم، وكشفت مظهرها من مظاهر الخسران الذي أجملته سورة العصر. فإنّ العلاقة بين السورتين تقوم على علاقة الإجمال والتفصيل؛ إذ أجمال سورة العصر حال الخاسرين والناجين، ثم فصلت السورة الهمزة بعد صفات الخاسرين وجزائهم، مما يحقق انسجاماً موضوعياً واضحاً بين السورتين .

المبحث الثالث: أثر الربط في تحقيق الانسجام النصي

تكشف النماذج السابقة أن الربط في تفسير الأساس يؤدي دوراً أساسياً في تحقيق الانسجام النصي؛ فهو يجعل الآيات والقصص والمقاطع والمجموعات والسور أجزاء مترابطة في بناء دلالي واحد. كما يساهم في استمرار المعنى وانتقاله من مستوى إلى آخر، ويمنع النظر إلى الآيات أو الموضوعات باعتبارها وحدات منفصلة.

ويظهر أثر الربط كذلك في الكشف عن الوحدة الموضوعية؛ فربط المقاطع بالمحاور يجعل التفاصيل الجزئية خادمة للمقصد العام للسورة، وربط المجموعات ببعضها يكشف عن التدرج الموضوعي، بينما يكشف الربط بين السور عن امتداد بعض المعاني والمقاصد من سورة إلى أخرى.

¹⁵ المصدر نفسه، ج 11 / 6675 .

ومن خلال منهج سعيد حوى يتضح أن السياق يمثل أساساً مهماً في فهم هذه العلاقات، إذ لا ينظر إلى الآية منفردة، بل يدرس موقعها ضمن المقطع والمجموعة والسورة، ثم ينظر في صلتها بما قبلها وما بعدها. وبذلك يسهم الربط في الكشف عن البناء المتكامل للنص القرآني، ويؤكد أن تنوع الموضوعات لا يعني انقطاعها، بل تنتظم جميعها ضمن سياق محكم يخدم المقاصد القرآنية.

النتائج

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، من أبرزها:

1. يمثل الربط عنصراً أساسياً في تحقيق الانسجام النصي في تفسير الأساس .
2. لم يقتصر سعيد حوى على الربط بين الآيات، بل وسع دائرة الربط لتشمل القصص والمقاطع والمجموعات والسور .
3. يسهم الربط بين المقاطع والمجموعات في الكشف عن الوحدة الموضوعية للسورة .
4. يعتمد سعيد حوى على السياق والمخاور في تفسير العلاقات بين أجزاء النص القرآني .
5. يكشف الربط بين السور عن امتداد المعاني والمقاصد وتكاملها في البناء القرآني .
6. تؤكد تطبيقات الربط في تفسير الأساس أن أجزاء النص القرآني تتفاعل فيما بينها لتحقيق وحدة دلالية وموضوعية متماسكة .

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أن نظرية الربط تمثل جانباً مهماً من منهج سعيد حوى في تفسير الأساس في التفسير، وأن عنايته ببيان العلاقات بين الآيات والقصص والمقاطع والمجموعات والسور أسهمت في الكشف عن وحدة البناء القرآني وتكامل أجزائه. كما أظهرت النماذج التطبيقية أن الربط لا يؤدي وظيفة شكلية فحسب، بل يسهم في استمرار المعنى، وتوضيح المقاصد، والكشف عن الوحدة الموضوعية، وتحقيق الانسجام النصي داخل السورة وبين السور. ومن ثم يظهر تفسير الأساس نموذجاً واضحاً للعناية بالسياق والمخاور والعلاقات النصية في فهم الخطاب القرآني.